

Ahmed ALDYAB (*)

بلاغة تقديم شبه الجملة على متعلقات مرفوعات الفعل في القرآن

الملخص:

لا شك أن بلاغة القرآن لا يمكن أن يحيط بها عقل أو فكر، فهي أكبر من ذلك. ولا يزال موضوع بلاغة القرآن يشغل العلماء والمفكرين. ويأتي هذا البحث ليبرز واحدة من النكات البلاغية وهي تقديم شبه الجملة على متعلقات مرفوعات الفعل، الفاعل ونائب الفاعل وما هي الفوائد البلاغية المستخلصة من ذلك.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، الفاعل، الفعل، تقديم، التأخير

öz

Kur'anda Şibih Cümlelerin Merfuatın Önüne Geçmesindeki Belagat

Şüphesiz kur'an blagatı aklın ve fikrin sınırlarını aşmaktadır. Belagat konusu alimleri ve düşünürleri meşgul etmeye devam etmektedir. Bu araştırma kur'an belagatından bir özelliğini ortaya çıkarmaktadır. Bu özellik, şibih cümlelerin failin ve naibulfailin önüne geçerek belagatı etkilemesidir.

anahtar kelimeler

Belagat, fail, fiil, takdim, tehir.

abstract

The Rhetoric of the Quasi-Sentence's Taking Precedence Over Merfuat in the Qur'an

Undoubtedly the rhetoric of the Qur'an oversteps the bounds of the mind and the thinking. The subject of the rhetoric keeps on engrossing scholars and thinkers. This research reveals a characteristic of the rhetoric of the Qur'an. This characteristic is that the quasi-sentence influences the rhetoric by taking precedence over subject and pseudo-subject.

key words

Rhetoric, Subject, Verb, Takdim, Tehir.

المقدمة :

في الحقيقة من الموضوعات التي تثير الاهتمام في القرآن هو موضوع التقديم والتأخير بكل تفرعاته وتفصيلاته. ولقد بحث العلماء هذه المسألة وأسهبوا فيها واستنتجوا الأسرار البلاغية لذلك، لكن مهما يكن من أمر فإن هذه الأسرار لا تنتهي ولا تنضب وخصوصاً أن هذا الكلام كلام الله العليم العلام الذي لا يمكن أن يحد بقول أو تعبير، فتفكير الإنسان يمكن أن يصل إلى نتيجة أو نكتة بلاغية ما، لكنه بالطبع لا يمكن أن يبلغ جميع ما أراده البيان القرآني. ولقد اتجهت آراء العلماء اتجاهات مختلفة وتنوعت بحسب الخبرات المعرفية والثقافية، فمن العلماء من نظر إلى هذه المسألة من زاوية أحكام القرآن وما يمكن أن ينتج من مسألة التقديم والتأخير من أحكام

تؤثر على موضوع العبادات، وبعضهم نظر إلى الموضوع من جهة التفسير وماذا يمكن أن يحققه هذا الموضوع من انفتاح للآية ويقودها إلى فهم أعمق وأشمل، وبعضهم جعل من هذا الموضوع وسيلة لإبراز بلاغة القرآن بتنوعاتها المختلفة. وقد تناول هذا البحث مسألة بلاغة تقديم شبه الجملة على متعلقات الفعل، ومصطلح شبه الجملة كما هو معروف يشمل الظرف والجار والمجرور، أما مرفوعات الفعل فتشمل الفاعل ونائب الفاعل. وفي الحقيقة متعلقات الفعل كثيرة وخصوصاً المنصوبات والتي تشمل المفعول والحال والمفعول المطلق وغيرها من المنصوبات ولكنني سأقتصر في بحثي على المرفوعات فقط. فمن المعروف أن الفعل والفاعل من المتلازمات التي لا تنفصل إلا لنواح بلاغية ودلالية مقصودة لذاتها.

1- بلاغة تقديم شبه الجملة على الفاعل:

يقول الله تعالى في سورة الأعراف { فوسوس لهما الشيطان ليبيدي لهما ما ووري عنهما من سواتهما } الأعراف:19. حيث نلاحظ كيف تقدم الجار والمجرور (لهما) على الفاعل (الشيطان). وفي الحقيقة فإن هذه الآية تبحث وسوسة الشيطان لآدم وحواء، وهذا التقديم فيه إشارة إلى أن الشيطان كان يعتني بآدم وحواء أشد العناية ليحقق هدفه الذي يريد وهو وجود شريك معه في مخالفة الله تعالى، والذي يؤكد ذلك أنه أخذ يقسم لهما أنه من الناصحين هذا من جهة

ومن جهة أخرى تبيانه لهما سبب النهي وإغواؤه لهما بذلك.)
الكشاف: ص94). يقول تعالى في سورة التوبة { وعلى الثلاثة الذين
خلفوا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم
وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب الله عليهم ليتوبوا } التوبة
:119. نلاحظ كيف تقدم الجار والمجرور (عليهم) على الفاعل
(الأرض) مرة وتقدم على لفظ (أنفسهم) الذي هو فاعل مرة أخرى.
ولمعرفة بلاغة هذا التقديم نرجع إلى قصة هؤلاء الثلاثة الذين
اشتدت بهم الحسرة والندم وأخذوا يفكرون ملياً بحالتهم التي ساءت
بعد تخلفهم عن الجهاد وعدم الاطمئنان الذي أخذ يساورهم، وجاء
هذا التقديم ليبرز هذه الحيرة والندم وأنهم شعروا بالضيق والحرص
أمام الآخرين وليؤكد على ماتحويه أنفسهم من ذلك، فكان الاهتمام
من ذلك سبب هذا التقديم. (تفسير أبو السعود: ج4، ص109). قوله
تعالى في سورة طه { كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه
فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى } طه:79. فقد
فصل الجار والمجرور بين الفعل والفاعل، فجاء الجار (عليكم)
بين الفعل (فيحل) والفاعل (غضبي). يقول صاحب المحيط "
الآية مسوقة للتحذير من الطغيان فيما رزق الله، والتحذير من حلول
غضبه " (البحر المحيط: ج6، ص246). وفي الحقيقة نلمح لفظة
بلاغية أخرى هي التناسب في النظم من خلال المزوجة في تقديم

المجرور على المرفوع، حيث نرى هذا التقسيم في الآية وكيف تناسب النظم في ذلك.

قوله تعالى في سورة التوبة { وضائق عليكم الأرض بما رحبت } التوبة:25. هذه الآية تتحدث عن هزيمة المسلمين في معركة حنين، حيث اغتر المسلمون بعددهم وظنوا أن النصر يكون بالعدد والعدة فجاء فشلهم نتيجة لإعجابهم بكثرتهم فنزل الرد الإلهي مريباً لهم ومعلمهم. ونحن كما نرى أن تقديم الجار والمجرور على الفاعل كان لغاية الاهتمام بالمخاطبين حيث شعروا بأن الأرض أصبحت تضغط على صدورهم ونفوسهم نتيجة للهزيمة التي لحقت بهم بحيث لم يبق إلا الرسول وقلة من أصحابه الذين صبروا في أرض المعركة ثم بدل الله هذه الهزيمة نصراً بعد أن حثهم العباس إلى الرجوع إلى أرض المعركة. يقول البيضاوي " حيث ضاقت عليهم الأرض فلم يجدوا مقرأً تطمئن إليه نفوسهم من شدة الرعب " (تفسير البيضاوي، ج2، 176). يقول تعالى في سورة هود { أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك } هود:12. في الآية يوجد تقديمان للظرف وللجار والمجرور، لكن سأتكلم هنا فقط على تقديم شبه الجملة على الفاعل فقط، حيث نرى تقديم الظرف " معه " على الفاعل " ملك " وهذا القول صدر من الكفار والمشركين في حق الرسول الكريم، حيث كان همهم أن يكون مع الرسول ملك ولم يكن هذا على سبيل

الحقيقة، بل على سبيل التكذيب والسخرية، ونلاحظ أيضاً أن تقسيم الآية جاء متوازناً، حيث نرى القسم الأول جاء الجار والمجرور بين الفعل ونائب الفاعل وجاء الظرف في القسم الثاني بين الفعل والفاعل وهذا فيه شيء من الموسيقى التنغيمية التي بالتأكيد تؤثر على الأذن ومعنى الآية. ومن الآيات التي أريد أن أنهى حديثي عنها في مسألة الفاعل آية ذكرت في موضعين مرة جاء التقديم ومرة لم يقدم الجار والمجرور، ففي سورة الأنفال يقول الله تعالى { وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله } الأنفال:10. أما في سورة آل عمران فقد جاءت الآية تقريباً متشابهة مع آية الأنفال حيث يقول الله تعالى { وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله } آل عمران:126. ففي آية الأنفال نرى كيف تقدم الجار والمجرور على الفاعل "به"، أما في سورة آل عمران لم يتقدم الجار والمجرور على الفاعل. تنبه صاحب ملاك التأويل إلى هذه المسألة حيث ذكر أن تقديم الفاعل في سورة آل عمران يفيد البشارة لأهلها والاعتناء والاهتمام بهم،(ملاك التأويل،314)، أما الكرمانى فكان له رأي آخر حيث ذكر أن آية الأنفال جاء فيها حدثان الأول تقديم المجرور وحذف الجار الذي جاء في سورة آل عمران وهو " لكم " وهذا ما أطلق عليه بالازدواج بين

الغائبين في سورة الأنفال وبين المخاطبين في آل عمران. (البرهان، 48).

2- بلاغة تقديم شبه الجملة على نائب الفاعل

يقول تعالى في سورة البقرة {واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يُقبل منها شفاعاة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون} البقرة:47. أي خافوا يوماً لا تفيد نفس مؤمنة عن نفس شيئاً من عذاب الله ولا يقبل منها شفاعاة ولا فداء، فالكافر لن ينفعه شيء. (حاشية الصاوي:28). ونحن نلاحظ كيف تقدم الجار والمجرور " منها " على نائب الفاعل " شفاعاة " وتكرر الأمر حيث تقدم الجار والمجرور أيضاً "منها" على نائب الفاعل " عدل " وفي الحقيقة فإن هذا يفيد اهتمام بمرجع الضمير وهو النفس المؤمنة في الموضع الأول والنفس الكافرة في الموضع الثاني، وجاء هذا الاهتمام لتأكيد انتفاء القبول وانتفاء الأخذ ولا ننسى أن هذا التقسيم أعطى النظم نكهة خاصة في الآية حيث حقق المزاجية من خلال هذا التقديم. يقول تعالى في سورة الطلاق { لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله (الطلاق:6) والآية تعني أن ينفق الزوج على زوجته وولده الصغير على قدر وسعه فإذا كان غنياً فيوسع في النفقة وإن كان

فقيراً فينفق بقدر ما يستطيع. (التحرير والتنوير:ج13،126). وهذا التقديم أعطى الاهتمام له ونبه إلى الحالة الخاصة لمن وجبت عليه النفقة ولكنه لا يستطيع ذلك أو كانت حالته ضيقة. يقول الله تعالى في سورة يونس { كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون } يونس: 12. يقول صاحب البحر المحيط إن الفعل مبني للمفعول، فاحتمل أن يكون الفاعل الله، إما على سبيل خلق ذلك واختراعه في قلوبهم كما يقول أهل السنة، وإما بتخليته وخذلانه كما يقول المعتزلة، أو الشيطان بوسوسته ومخادعته، وقيل النفس، (البيضاوي، ج3،315)، وجاء هذا التقديم لأهميته بكونه المقصود بفعل التزيين، وبالإضافة إلى الاهتمام فإن تأخير نائب الفاعل حقق التناسب برعاية الفاصلة، حيث وقع نائب الفاعل رأس الآية فتم تماثل الفاصلة مع غيرها.

يقول الله تعالى في سورة المائدة قوله تعالى { حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به } المائدة: وفي الحقيقة هذه الآية تتشابه مع ثلاث آيات في سورة النحل وهي قوله تعالى { إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به } النحل:115، وفي سورة الأنعام جاء قوله تعالى { قل لا أجد في ما أوحى إلي محرماً على طعام يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس، أو فسقا

أهل لغير الله به } . وجاء في سورة البقرة { إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله } البقرة:172. والملاحظ أن آيات المائدة والنحل الأنعام تتشابه فيما بينها حيث نرى أن الجار والمجرور تقدم على نائب الفاعل، فالتقديم جاء لأن الذبح لغير الله مستنكر، فالتقديم جاء لإظهار المستنكر والتنبيه إلى أنه مسبب في التحريم، (روح المعاني: ج2، 72). أما في سورة البقرة فقد جاء النظم على الأصل، (تفسير الطبري: ج2، 120)، فالمجرور " به " قائم مقام الفاعل لأن الباء بمعنى في ولا بد من حذف مضاف أي في ذبحه، فالمعنى: وما صيح في ذبحه لغير الله، (الفتوحات الإلهية، 138)، والباء تجري في إفادة التعدية مجرى الهمزة والتشديد فهي كالجاء من الفعل فكان الموضع الأول أولى بها، (درة التنزيل، 41). يقول الله تعالى في سورة هود { ذلك يوم مجموع له الناس } هود:103، تقدم الجار " له " على نائب الفاعل " الناس " ، وكما نعرف أن اسم المفعول يُؤخذ من الفعل المبني للمجهول وهذا يكون أبلغ في دلالاته على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه، وتقدم المجرور لإظهار الاهتمام بمعاد الضمير وهو يوم القيامة توكيداً لعدم انفكاكهم عنه (القرطبي: ج6، 142). من الآيات التي أحب أن أختم بها حديثي

على هذه النقطة الآية الثانية والثلاثون من سورة الرعد وهي قوله تعالى { ولو أن قرآناً سُيرت به الجبال أو قُطعت به الأرض أو كُلم به الموتى، بل لله الأمر جميعاً } الرعد: 32. نرى في هذه الآية كيف تقدم الجار والمجرور في ثلاثة مواضع، وفي هذا التقديم على المرفوع فيه شيء من قصد الإيهام ثم التفسير لزيادة التقرير لأنه بتقديم ما حقه التأخير تبقى النفس مستشرقة ومرتبعة إلى المؤخر أنه ماذا، فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن. (تفسير أبي السعود: ج5، 22) وبهذا يتحقق التشويق إلى المرفوع المؤخر، وهذا التقديم أيضاً أعطى أهمية للضمير العائد إلى القرآن الذي يقع النفع به.

الخاتمة:

كما ذكرت أن بلاغة القرآن لاتنتهي ولا يمكن الإحاطة بها وحتى النتائج التي توصل إليها البحث فإنها نقطة من فيض، لكن على الإجمال لا بد من ذكرها.

1- مسألة التقديم والتأخير في القرآن كانت خصبة فقد بحثت على كافة الجوانب والاتجاهات.

2- لم أتطرق إلى متعلقات الفعل من المنصوبات والمجرورات وغيرها، فالبحث سيطول ويمكن أن تنتشت أفكاره.

- 3- تنوعت بلاغة تقديم المجرور على الفاعل ونائب الفاعل وكانت غالباً تخضع للسياق وبعض الاعتبارات الأخرى.
- 4- كان تقديم المجرور على الفاعل أكثر من تقديم المجرور على نائب الفاعل.
- 5- البحث لم يتطرق إلى كل الأغراض البلاغية ولكن تطرق إلى بعض النماذج التي تشمل الأمثلة الأخرى في القرآن.

المصادر والمراجع:

- أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم، محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1983.
- البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.
- البرهان في توجيه متشابه القرآن، محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986.
- تفسير أبي السعود ، أبو السعود محمد بن محمد العماري، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، 1994.

- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الفكر، بيروت، 1990.
- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر.
- تفسير الطبري، أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، 1978.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار التراث العربي، بيروت، 1965.
- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي ، دار الفكر، بيروت، 1983.